جامعة الجيلالي بونعامة –خميس مليانة-

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم العلوم الاجتماعية

المستوى: السنة الأولى جذع مشترك (علوم اجتماعية)

المجموعة:2

المقياس: تاريخ الجزائر الثقافي

الأستاذ: عكاك اسماعيل

السنة الجامعة: 2023/2022

المحاضرة: السابعة +الثامنة+التاسعة

المحاضرة السابعة: أهم العلوم التي نبغ فيها علماء الجزائر إبان العهد العثماني

1-العلوم الشرعية:

ونقصد بها الحديث، التفسير، الإجازات (شهادة كفاءة)، والفقه. هذا الأخير هو من سنتطرق إليه باختصار شديد، ونترك للطالب مهمة البحث في هذه العلوم، وذلك من خلال الرجوع الى المراجع التي الفت في هذا المجال.

الفقه:

من الطبيعي أننا سنركز على إنتاج الفقه المالكي. ذلك أن معظم سكان الجزائر يتبعون مذهب الإمام مالك. ولكن –كما تطرقنا الى ذلك سابقا- منذ مجيء العثمانيون انتشر المذهب الحنفي أيضا، بحيث ظهر علماء كتبوا ودرسوا وأفتوا على قواعد الإمام أبي حنيفة. فأسرة ابن العنابي كانت حنفية وقد تركت بعض التأليف الهامة. بالإضافة الى عبد القادر الراشدي وابن علي. أما أشهر الفقهاء المتحررين المالكيين (عبد الكريم الفكون، احمد المقري، يحي الشاوي، واحمد بن عمار...).

إن ما يمكن التأكيد عليه هو **سيطرة مختصر خليل ابن إسحاق الجندي المالكي " في فقه إمام دار الهجرة الإمام مالك بن انس رضي الله عنه"** (توفي عام 776ه/1374م) على مختلف الدراسات الفقهية المالكية في الجزائر، بحيث يأتي في المقام الثالث بعد القرآن الكريم وصحيح البخاري، مما يجعله بمثابة أشهر فقهاء المالكية على الإطلاق.

2- العلوم العقلية (1)

أ-علم الكلام:

شاع استعمال تعبير علم الكلام وعلم التوحيد لدى الجزائريين. وكانوا يعتبرون هذا العلم من أهم العلوم على الإطلاق. وقد عرفه محمد الرماصي في القرن 12م بقوله:"علم الكلام أوثق العلوم دليلا، وأوضحها سبيلا، وأشرفها فوائد، وأنجحها مقاصد، إذ به تعرف ذات الحق وصفاته، ويصرف عنه ما لا يليق به ولا تقبله ذاته."

والعقائد السائدة لدى الجزائريين هي عقائد الأشعري، وهي عقائد جمهور أهل السنة. وكانت مؤلفات محمد بن يوسف السنوسي في العقائد هي المصدر المحلي لدراسة علم الكلام. بالإضافة الى كتاب العنابي (مسالة في التوحيد) ومحمد البوزيدي (احد علماء قسنطينة في القرن 17م)

وعلى العموم، فقد سيطرت مؤلفات محمد السنوسي في التوحيد سيطرة تامة على الدارسين لهذا العلم طيلة العهد العثماني، ولم يكن ذلك مقصورا على الجزائر وحدها بل تجاوزها الى معظم الأقطار العربية والإسلامية، خاصة كتاب (العقائد السنوسية)"العقيدة الصغرى، العقيدة الوسطى، والعقيدة الكبرى)

ولقد قام الورثلاني بشرح عمل السنوسي والدفاع عنه وتحشية أعماله كذلك.

ويعتبر عمل احمد المقري (إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة) بمثابة منافس لعقيدة السنوسي من ناحية الأهمية، بحيث هو عبارة عن نظم من 500بيتا تناول فيه أصول الدين وقضايا التوحيد.

ب/-التصوف:

بقدر ما سيطرت روح التصوف على الحياة العلمية والاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني، بقدر ما كان إنتاج العلماء في هذا الميدان كثيرا. وهذا ما تجلى من خلال أعمال ابن صعد (النجم الصاعد)، محمد بن يوسف السنوسي، احمد النقاوسي (الأنوار المنبلجة)، عبد الرحمان الثعالبي...بحيث كانت أعمالهم بمثابة

مصادر هامة للتأليف في علم التصوف وفروعه. كما أن التأليف في التصوف كان أكثر من تدريسه، على عكس بعض العلوم الأخرى.

المناقب الصوفية: وموضوعها هو التصوف وحياة المتصوفين وتعداد فضائلهم. ومن أوائل كتب المناقب (المواهب القدسية في المناقب السنوسية) لمحمد بن عمر بن إبراهيم الملالي، تطرف فيه الى حياة وأعمال محمد بن يوسف السنوسي. بالإضافة الى شخصية احمد بن يوسف الملياني قد خصها المؤلفون بالتقاييد والتأليف والأشعار. (شخصية صوفية). بالإضافة الى ابن الفكون من خلال مؤلفه (منشور الهداية) الذي قسمه الى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، وجعل عنوان الفصل الأول مثلا "في من لقيناه من العلماء والصلحاء المقتدى بهم، ومن قبل زمنهم ممن نقلت إلينا أحوالهم وصفاتهم تواترا، أردنا التنبيه عليهم وذكر ما كانوا عليه وزمانهم وتواريخ وفاتهم".

ج- المنطق:

لقد كان الإنتاج قليلا ونادرا في هذا العلم، لعدة أسباب أهمها:

-صعوبة هذا العلم، بحيث يتطلب الاطلاع على أعمال الأولين، وأمهات الكتب في المنطق).

-طغيان علم التصوف على الجزائريين.

-اتهام المنطق بالكفر والزندقة.

*يعتبر عبد الرحمان الاخضري ابرز من ألف في المنطق خلال العهد العثماني، ولم تقتصر شهرة الاخضري على تأليفه هو، نظما وشرحا، ولكن على ما جذب إليه من اهتمام العلماء الآخرين لشرح ودراسة عمله في المنطق، خاصة انه في اختصار قواعده وتوضيحها في متنه المعروف ب (**السلم المرونق**)، بحيث فرض نفسه كعمل خالد في الدراسات المنطقية حوالي أربعة قرون من الزمن. ويعتبر

المستشرق الفرنسي (لوسياني) من أواخر من ترجمه ودرسه وقدمه للقراء الأجانب.

اثبت الاخضري انه لا تناقض بين المنطق والدين، رغم تعارضهما ظاهريا، وهذا من خلال 143 بيت (في رجز وحده فقط).[1]

كما قسم المعرفة الى قسمين معروفين هما التصور والتصديق.

وقد نظم الشيخ الأخضري أبياتا شعرية وضح من خلالها حاجة الإنسان الى المنطق:

وبعد، فالمنطق للجنان نسبته كالنحو للسان

فيعصم الفكر عن غي الخطا وعن دقيق الفهم يكشف الغطا

فهاك من أصوله قواعدا تجمع من فنونه فوائدا

المحاضرة الثامنة:

3/-علوم اللغة، الشعر، والتاريخ:

أ/-علوم اللغة:

تعتبر زواوة مدرسة هامة لعلم النحو، منذ يحي بن معطي الزواوي، بالإضافة الى الأشواط الهامة التي قطعها هذا العلم مع أبو جميل بن فائدة الزواوي القسنطيني.
وكل هذا أدى الى اشتهار علم النحو، بدليل أن (ألفية ابن مالك) صارت عندهم كخبر الجلوس، أي صارت محفوظة معروفة يتحدثون بها في المجالس ويتنادرون.

[1] - الرجز هو بحر معروف من بحور الشعر العربي، وتسمى قصائده الأراجيز ومفردها أرجوزة، ويسمى قائله: راجزا.

واشتهرت الدراسات النحوية كذلك مع يحي الشاوي، عبد الكريم الفكون، محمد بن راشد الزواوي، وعاشور الفكيرين القسنطيني. وهذا ما تجلى من خلال أعمال الفكون (فتح المولى بشواهد ابن يعلى/شرح على أرجوزة المكودي في التصريف). كما يعتبر محمد بن عامر الاخضري البسكري (وهو والد عبد الرحمان الاخضري) من الأوائل الذين ألفوا حول ألفية ابن مالك، فقد أراد أن يوضح في شرحه عليها ما غمض منها.

البيان والمعاني (البلاغة) والعروض:

نكتفي بذكر نظم وشرح عبد الرحمان الأخضري (الجوهر المكنون) في علمي البيان والمعاني، ثم شرحه بنفسه شرحا كبيرا فاق فيه (تلخيص المفتاح) لجلال الدين القزويني.

ملاحظة: أما فيما يتعلق بفنون النثر في الأدب، وأسباب تدهوره نسبيا، أهم الأعمال الأدبية النثرية إبان العهد العثماني في الجزائر (أدب الرحلة..)...**ارجع الى المحاضرة السادسة.**

ب/- الشعر:

كان الشعر مزدهرا نسبيا إبان العهد العثماني، وقد تعددت أغراضه حسب بواعثه، وهي **الدين والسياسة والاجتماعيات والذات.**

إن حكم ابن خلدون على أهل المغرب العربي قد أضاعوا رواية أشعارهم وأخبارهم فأضاعوا أنسابهم وأحسابهم، قد كان حافزا لعدد من الشعراء والكتاب على تدوين الشعر، ومن هؤلاء احمد بن سحنون في (الأزهار الشقيقة)، وأبو راس الناصري في (الدرة الأنيقة)، كما أن (نفح الطيب)و(أزهار الرياض) قد ضم كمية من أشعار المقري. وهذا بالإضافة الى كتاب (منشور الهداية) لعبد الكريم الفكون

و(البستان) لابن مريم، حملا في طياتهما أخبارا عن شعراء تمسان وقسنطينة ممن عرفوا بجودة الشعر وكثرته.

بواعث الشعر:

-بواعث دينية:فالشعراء كانوا يسجلون مشاعرهم في المواسم الدينية المعرفة كالحج والمولد النبوي بنظم الموشحات والقصائد. فقد ذكر احمد المقري (نفح الطيب) إحدى الأبيات الشعرية للشاعر محمد العطار الجزائري حول المديح الديني:

أهدت لنا طيب الروائح يثرب فهبو بها عند التنسم يطرب

-بواعث سياسية:إن النزاع بين الجزائر واسبانيا كان باعثا لعدد من الشعراء على الدعوة للجهاد وتمجيد النصر. مثلا نظم احد الشعراء:

هنيئا لك باشا الجزائر والغرب بفتح أساس الكفر مرسى قرى الكلب

-بواعث عاطفية، جمالية، واجتماعية:

وهذا ما يتجلى في مجال الطبيعة، وعزة المدن، والحنين الى الأهل والوطن، بالإضافة الى البواعث الاجتماعية (رثاء عزيز أو تبادل التهاني). فهذا الشاعر (أحمد القرومي) يمدح المباني العمرانية:

وترى المدرس قد علا كرسيه يلقي على العلماء حب الجوهر

تحويه مدرسة غدت آثارها تحييه بالعلم الشريف الأشعري

تمحى رسوم الجهل من ألواحه تحمي شمائله من الزور السرى

المحاضرة التاسعة:

4/-العلوم التقنية والفنون في الجزائر إبان العهد العثماني:

إذا كانت عناية العلماء بالعلوم الشرعية والأدب والتاريخ والشعروالتصوف...أمرا تم إثباته بطريقة موضوعية، فان الأمر يختلف تماما بالنسبة للعلوم التقنية والفنون، بحيث يعتبر العهد العثماني في الجزائر فقيرا من هذه الناحية. وهذا ما اعتبره الباحثون بمثابة تخلي عن تراثنا العربي الإسلامي الذي تميز بالابتكار والتنوع في هذه الميادين، خاصة إبان العهد العباسي (الحساب، علم الفلك، علم الكيمياء...).

أ/-الحساب والفلك:

تعتبر أعمال عبد الرحمان الاخضري، سحنون بن عثمان الونشريسي، وابن حمادوش...من الأعمال الرائدة في هذا الميدان، مع أن هؤلاء يستمدون موادهم العلمية من تراث الحباك والسنوسي وابن القنفذ والقلصادي. فالحباك اشتهر بعمله (نيل المطلوب في العمل بربع الجيوب)، أما محمد بن يوسف السنوسي (بغية الطلاب في علم الاسطرلاب). كما يمكن الاشارة كذلك الى قصيدة علي بن أبي الرجال القيرواني في الفلك وشرح احمد بن القنفذ عليها، من حيث هي مصدر هام للمهتمين بهذا العلم. كما أن عبد الرحمان الاخضري نظم 500بيتا (الدرة البيضاء) قسمها الى ثلاثة أقسام: الحساب، قواعد الفرائض، والقسم الثالث خاص بالقسمة العملية للتركات.(طبعت سنة 1891 بالقاهرة)، بالإضافة الى مؤلف (السراج) في علم الفلك. أما مؤلف سحنون بن عثمان فيتمثل في (سهام الربط في المخمس خالي الوسط).

ب/-الطب والجراحة والصيدلة:

نظرا لان الإنسان كان في حاجة الى المعالجة من مختلف الأمراض والأوبئة، فقد تم الاهتمام بالعلوم الطبية. إن كلمة حكيم كانت هي الشائعة عند الناس، فكان الطبيب محل احترام وتبجيل. وضع العلماء آنذاك مجموعة من الوصفات للتغلب

على بعض الأمراض الشائعة كألم الرأس والمعدة والحروق والإصابات الجلدية ووجع المفاصل وغيرها، ومعالجة لدغات العقارب والافعاعي، ومواجهة انتشار الطاعون والأمراض عن طريق السفن الداخلة الى الجزائر، وذلك بفرض التباعد أو الحجر الصحي.

ويعتبر كتاب (كشف الرموز) لابن حمادوش كنموذج عن ذلك (**ارجع الى المحاضرة الرابعة السابقة التي تطرقت الى ابن حمادوش**). وكما ذكرنا من قبل، فان مصادر الطب العربي كانت متوفرة في الجزائر (تآليف ابن رشد، ابن سينا، داود الأنطاكي وابن البيطار...).طبعا، وهنا نقصد كتاب القانون في الطب للشيخ الرئيس ابن سينا، وتذكرة الأنطاكي، ومفردات ابن البيطار حول الوباء والطاعون...